

إشكالية مصطلح الأدب التفاعلي وموقعه من الممارسة الإبداعية العربية.

أ/ أمال بن جيان

جامعة البليدة

الملخص:

إن الأدب التفاعلي هو نتاج العلاقة بين الأدب بفنيته وتخييله، والتكنولوجيا بتقنياتها ورقمنتها، فقد طرحت الوسائط التكنولوجية نفسها بقوة لتقود موجة من التغيير مست الكتابة الإبداعية لتنتج شكلاً جديداً من الكتابة والقراءة معاً، شكلاً مغايراً للمبدع والقارئ اللذين ارتبطا بقران التفاعل والترابط، ما يتفق مع بعض النظريات الحديثة في فتح الباب على مصراعيه للمتلقى حتى يتفاعل مع العملية الإبداعية ويضع بصمته عليها. وقد حاولنا من خلال بحثنا هذا التعريف بالأدب التفاعلي وبعض المصطلحات القريبة منه كالأدب الرقمي والنص المترابط، كما حاولنا تتبع مدى استثمار الأدباء العرب للمعطيات التكنولوجية الحديثة.

1/ الأدب التفاعلي "إشكالية المصطلح":

لما كانت المصطلحات "مفاتيح العلوم"، بل هي رحيقها الذي يُقدّم صورة مُصغرة وافية للمفاهيم، فإنّ التحكم فيها هو تحكم في المعرفة المراد تبليغها، ولكن ما يعرفه "المصطلح" اليوم في ظل التطورات العلمية الرّاهنة وتشعب البحوث والدراسات، أبعد ما يكون عن ذلك التحكم أو الضبط، رغم جهود الباحثين والمفكرين ومحاولاتهم لتطبيق مصطلحات العلوم وضبطها، إلا أنّ الدارس أو الباحث يجد نفسه في دوامة من فوضى المصطلحات وكثرتها في أيّ ميدانٍ بحثي أراد خوض غماره، ولعلّ هذا الأمر هو أوّل ما صادفنا ونحن نحاول ولوج عالم التعريف "بالأدب الرقمي" أو "الأدب التفاعلي". إنّ تجربة الأدب الرقمي حديثة العهد ولا تزال مفاهيمها ملتبسة وغامضة في التجريبتين العربية والغربية معاً، إذ هناك العديد من المصطلحات التي تعبر عن العلاقة القائمة بين الأدب والتكنولوجيا، أي عن ذلك الجنس الجديد في الإبداع الأدبي الذي يعتمد على الوسائط التكنولوجية للنشر بكل ما تتيحه من إمكانات متعددة، ومن هذه المصطلحات: الأدب الرقمي، الأدب التفاعلي، النص المترابط، النص المنتسب، النص السبيري، النص الديجيتالي، الأدب الإعلامي وغيرها...

1. الأدب الرقمي:

إنّ مصطلح الأدب الرقمي هو الأكثر انتشاراً في السّاحة الثقافية والإعلامية الفرنكفونية، ويُعرفه "جميل حمداوي" بأنّه «نتاج الحوسبة الإعلامية، وخاضع للبرمجة الإعلامية، ومنسجم مع الهندسة الداخلية للحاسوب»¹ أي أنّه إنتاج إعلامي داخلي خاضع لبرمجة حاسوبية دقيقة، فالرقي صفة «لكل ما تستخدم فيه الأرقام لتمثيل الأعداد أو البيانات أو الرموز»²، أمّا الناقدة المغربية "زهور كرام" فقد اختارت هذه التسمية "الأدب الرقمي" لتعبّر بها عن ثمرة اتصال الممارسة الإبداعية بالتكنولوجيا وتجعله «مفهوماً عاماً تنضوي تحته كل التعبيرات الأدبية التي يتم إنتاجها رقمياً»³، وترى بأنّه «التعبير الرقمي عن تطوّر النص الأدبي الذي يشهد شكلاً جديداً من التجلي الرمزي باعتماد تقنيات التكنولوجيا الحديثة ويقترح رؤية جديدة في إدراك العالم، كما أنّه يعبر عن حالة انتقالية لمعنى الوجود ومنطق التفكير»⁴.

¹ - جميل حمداوي، الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق (نحو المقاربة الوسائطية)، ط1 2016، ص 11.

² - شوقي ضيف، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004، ص 62.

³ - وكالة أنباء الشعر، الدوحة، "الناقدة زهور كرام تتأمل مفاهيم الأدب الرقمي" في الموقع www.alapn.com/ar/news.

⁴ - زهور كرام، الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأمّلات مفاهيمية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2009، ص 22.

ويبدو أنّ الناقدة "زهور كرام" ليست الوحيدة التي فضلت مصطلح "الأدب الرقمي" فهي هو الدكتور "جميل حمداوي" يُقرّ بأنّه أفضل مصطلح بالنسبة له لأنّه «أكثر ارتباطاً بالوسيط الإعلامي، وبدل بشكل جلي وواضح، على المكونات الأساسية التي تتحكم في المنتج الأدبي والفني والجمالي، ويحيل هذا الأدب أيضاً على ما هو رياضي ولوغاريتمي ومنطقي وحسابي. ويقوم هذا الأدب كذلك على تحريك المعطى النصي وفق الصّوت والصّورة والفيديو والإيقاع الزمني»¹، أي أنّه الأدب الذي يصنع تجربته بالمعطيات الرياضية والمنطقية، فيجمع بين الحروف والأرقام، ليصبح النص الرقمي «نسيجا من العلامات التي لا تجعله يخضع لوضع قائم وثابت، وإنما نصيته تتحقق من حيويته لا من اكتماله»² إنّه أدبٌ يتحرك ويتجدّد لأنّ الوسط الذي يترعرع فيه هو المحيط الرقمي بعوامله الافتراضية التي لا تعرف الثبات والسكون.

2. النصّ المترابط:

لقد وضع الباحثون والدّارسون في العالم العربي عدّة ترجمات لمصطلح Hypertext منها: النص المترابط، النصّ المتفرع، النصّ الفائق، النصّ المتشعب، ويعود أصل هذا المفهوم إلى تيودور نيلسون عام 1965 الذي عرّفه آنذاك بأنّه «النص الذي يعتمد أسلوب الكتابة غير التعاقبية»³، وتوضّح ذلك "فاطمة البريكي" بأنّه «أي نصّ مكتوب، ورقيا كان أو إلكترونيا، بشكل غير تعاقبي، بحيث يتفرع ويتشعب، ويتيح لقارئه ومستخدمه التجول فيه بحرية، دون التزامٍ بترتيب مُحدّد مسبقاً من قبل واضعه. كما أنّ المتلقي/المستخدم، غير مضطر إلى الانتقال من جزء إلى آخر على نحو تعاقبي يفرضه بناء النصّ للوصول إلى فكرة ما يريدّها ويبحث عنها، إذ يمكنها الوصول إليها مباشرة دون الإلتزام بقراءة أفكار كثيرة لا يحتاجها، وُضعت من قبل المؤلف في النص التقليدي، كي يصل من خلالها إلى غايته»⁴، وقد ساقّت الناقدة المثال الذي ذكره فليب ساير في افتتاحية كتابه understandinghypertext concepts and applications حين اعتبر أنّ الصفحة الأولى من الجريدة تعتبر نصّاً مُتفرعاً، لأنها تمنح القارئ حرية القراءة والتجوال فيها كما يشاء دون أن يتقيّد بخطّ ثابتٍ، كما أنّ العناوين تمثل رابطاً تشعبياً كتلك الروابط المستخدمة في (النصوص المتفرعة) الإلكترونيّة، فينتقل القارئ باستعمال مؤشر الفأرة إلى ما يريد قراءته دون عناء، أي أنّ "المترابط" يركّز على تقنية الترابط التي تنظم النصّ الأدبي بناءً على ما تقدّمه المعلومات من روابط يجمع بينها مُتيحاً بذلك للمستخدم أو المتلقي الانتقال من نصّ لآخر حسب حاجته، وقد أشار "سعيد يقطين" إلى العلاقة التي تربط الوسيط الإلكتروني بالقارئ في قوله: «عملية التبادل أو الإستجابة المزدوجة التي تتحقق بين الإمكانيات التي يقدمها النظام الإعلامي للمستعمل والعكس، ويمكن التبدل على ذلك من خلال نقر المستعمل على أيقونة مثلاً للانتقال إلى صفحة أخرى، كما أنّ الحاسوب يمكن أن يطلب من المستعمل فعل شيء ما، إذا أخطأ التصرف من خلال ظهور شريط يحمل معلومات على المستعمل الخضوع لها لتحقيق الخدمة الملائمة»⁵، وفي السّياق ذاته نجد "نبيل علي" يفضل مصطلح "النصّ الفائق" في كتابة "العرب والمعلومات" 1994، ويعرفه بأنّه «الأسلوب الذي يُتيح للقارئ وسائل عملية عديدة لتتبع مسارات العلاقات الداخلية بين ألفاظ النصّ وجمله وفقراته، ويخلصه من قيود خطية النصّ حيث يمكنه من التفرع في أيّ موضع لاحق أو سابق، بل ويسمح أيضاً للقارئ عبر تقنية النصّ الفائق أن يمهر النصّ بملاحظاته واستخلاصاته، وأن يقوم بفهرسة النصّ Indexing، وفقاً لهواه، بأن يربط بين عدّة مواضع في النصّ، ربّما يراها مترادفة أو مرتبطة تحت كلمة أو عدّة كلمات مفتاحية، فتقنية النصّ الفائق تنظر إلى النصّ ليس بوصفه سلسلة متلاحقة من الكلمات، بل كشبكة كثيفة من علاقات

¹ - جميل حمداوي، الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص 14.

² - زهور كرام، الأدب الرقمي، ص 50.

³ - فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 26.

⁴ - فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 26-27.

⁵ - سعيد يقطين، من النصّ إلى النصّ المترابط مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، المغرب 2005، ص 259.

التداخل»¹، فالنص لم يعد نقاطاً مُتتابعاً أو سلسلة منطقية بل هو شبكة مُتفرعة متداخلة وهذا هو الطرح الجديد الذي جاء به النص الرقعي.

3. الأدب التفاعلي:

لقد أثمرت علاقة التزاوج بين الأدب والتكنولوجيا، نوعاً جديداً من النصوص يجمع بين فنية الأدب وعلمية التكنولوجيا، نوعٌ لم يكن له ليتأتى بعيداً عن مجال الوسائط التكنولوجية، بل تشكل في رحمها، وحبا في عوالمها، إنّه الأدب التفاعلي، الذي يعرفه الناقد "سعيد يقطين" بأنه: «مجموع الإبداعات (والأدب من أبرزها)، التي تولدت مع توظيف الحاسوب، ولم تكن موجودة قبل ذلك، أو تطورت من أشكال قديمة، ولكنها اتخذت مع الحاسوب صورا جديدة في الإنتاج والتلقي»²، وتحاول الدكتورة "فاطمة البريكي" تعريفه على نحو أكثر علمية وانضباطاً بأنه «الأدب الذي يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة في تقديم جنس أدبي جديد، يجمع بين الأدبية والإلكترونية، ولا يمكن أن يتأتى لمتلقيه إلا عبر الوسيط الإلكتروني، أي من خلال الشاشة الزرقاء. ولا يكون هذا الأدب تفاعلياً إلا إذا أعطى المتلقي مساحة تعادل أو تزيد عن مساحة المبدع الأصلي للنص»³. فالواضح أنّ "فاطمة البريكي" تربط الأدب التفاعلي بركن رئيس في العملية الإبداعية هو المتلقي، بل تعتبره هو الأهمّ عندما تطالب بمساحة تزيد عن مساحة المبدع، ليتنقل بذلك القارئ من مجرد قارئ إلى قارئ/كاتب، إذ يدخل المبدع في «علاقاتٍ تفاعليةٍ حميمية مع المتلقي الرقمي أو الإلكتروني أو الحاسوبي، بتبادل الملاحظات والإنتقادات والتعليقات المختلفة، وقد يكون هذا التفاعل مباشراً على صفحة النص بحضور الكاتب والمتلقي، وقد يكون غير مباشر بحضور أحد الطرفين»⁴، فالنص الأدبي التفاعلي، لا يكتسب وجوده إلا بتفاعل المتلقي الذي يعتبر حضوره ضرورياً، «لإغناء النص وإثرائه بملاحظات وتعليقاته وانتقاداته، وبصماته ولا يمكن تصوّر أدب رقمي دون قارئ مُتفاعل»⁵ وهكذا فإنّ القارئ يُعد أهم عنصر في الأدب التفاعلي الذي لا يعترف بالمبدع الوحيد للنص ويلغي الحدود القائمة بين عناصر العملية الإبداعية، بل تلك العملية تتحقق نصّاً بشراكة تفاعلية ووظيفية مع القارئ الذي – كما يبدو – اختلف دوره تماماً عما كان عليه سابقاً، لأنّ القراءة لم تعد فعلاً لاحقاً لشيء قائم، كما كانت عليه في النصوص الورقية. حتى وإن تصرف فيها المتلقي بعض الشيء (الكتابة التجريبية)، القراءة الرقمية أضحت شكلاً من أشكال الكتابة ولا بد للقارئ أن يضع بصمته فيها، وليتحقق الأدب التفاعلي اقترحت الناقدة "فاطمة البريكي" شروطاً تتمثل في: «

- أن يتحرر مبدعه من الصورة النمطية التقليدية لعلاقة عناصر العملية الإبداعية ببعضها.
- أن يتجاوز الآلية التقليدية في تقديم النص الأدبي.
- أن يعترف بدور المتلقي في بناء النص، وقدرته على الإسهام فيه.
- أن يحرص على تقديم نصّ حيوي، تتحقق فيه روح التفاعل، لتتنطبق عليه صفة (التفاعلية)»⁶.

إلا أنّ صفة "التفاعلية" التي وُسم بها هذا الأدب لم تزق لبعض الباحثين، فهي هو الفلسطيني "عز الدين مناصرة" يقترح تسمية "النص العنكبوتي" في كتابه "علم التناص والتلاص" عام 2006، ويعتبر أنّ مصطلح التفاعلي غير دقيق لأنّ عملية التفاعل غير مضمونة في النص الإلكتروني، إلا إذا توافرت فيه التفاعلية فعلاً، وتُقر "فاطمة البريكي" في ثنايا حديثها عن الأدب التفاعلي أنّ هذا المصطلح يبدو غامضاً على القارئ العربي، الذي يطلع على

¹ - نبيل علي، العرب وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل 1994، ص 282.

² - سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، مرجع سابق، ص 10.

³ - فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي مرجع سابق، ص 49.

⁴ - جميل حمداوي، الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص 17.

⁵ - المرجع نفسه، ص 28.

⁶ - فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 50.

هذا النوع من الكتابة لأول مرة، رغم أنّ هذه الصّفة "التفاعلية" (في رأيها) لا تختص بالأدب الإلكتروني وحسب بل «إنّ الأدب في جميع أطواره، لا يكتسب وجوده وكيونته إلا بتفاعل المتلقين المختلفين معه، والذين تتنوع بتنوعهم واختلافهم طرائق تفاعلهم مع الأدب. وهذه الفكرة مُشتركة بين الأدب في طوره الإلكتروني والنظريات النقدية الحديثة، التي أكّدت على الصفة التفاعلية للعملية الإبداعية، بتعزيزها دور القارئ في بناء النص وإنتاج معناه»¹.

كل هذا يجعل صفة التفاعلية أعمّ وأشمل، يقول سعيد يقطين «وهناك معنى آخر للتفاعل أعمّ، وهما ما يتمثل في العمليات التي يقوم بها المستعمل وهو ينتقل بين الروابط لتشكيل النص بالطريقة التي تفيده، وهو بذلك يتجاوز القراءة الخطية التي يقوم بها قارئ الكتاب المطبوع. ولقد ظهرت أعمال أدبية (الرواية مثلاً) أو فنية (الألعاب أو الدراما) تقوم على الترابط بين مختلف مكوناتها، وهي تمهض على أساس التفاعل أو القراءة التفاعلية»².

*علاقة الأدب التفاعلي بالنظريات النقدية الحديثة:

آلية التناص:

لقد أشرنا سابقاً إلى فكرة "فاطمة البريكي" القائلة بأنّ تفاعل المتلقي مع النص أمرٌ مشترك بين الأدب في طوره الإلكتروني والنظريات النقدية الحديثة ولا شك أنّ العملية الإبداعية الإلكترونية – في مجال الأدب- قد أفادت من التجارب النقدية السابقة عليها، ولعلّ أهمّ ما تقاطع فيه الأدب التفاعلي مع هذه النظريات "التناص"، فقد نبه "سعيد يقطين" إلى فكرة التناص في قوله: «وإذا كان كلّ أدب تفاعلي في جوهره، إذ لا يكتسب النص الأدبي وجوده إلا بتفاعل المتلقي/المستخدم معه، فإنّ هذه الصّفة كانت موجودة بالإدراك، ولم يُنص عليها أو تصبح صفة ملازمة للنص الأدبي إلا بانتقاله من طوره الورقي إلى طوره الإلكتروني الجديد»³، فصّفة "تفاعلي" تحيل إلى فكرة تداخل النصوص، ويقول "يحي بوتردين": «أمّا بالنسبة لمرجعياته في الثقافة الغربية – باعتبارها مهد الخطاب الإلكتروني- فبالإمكان ملاحظة أنّ هناك من النقاد واللّسانيين من تحدّثوا عن التناص كخاصية للخطاب اللّغوي التقليدي، وهو ما نجده مجسّداً من خلال عنصر الإرتباط الذي هو خاصية للخطاب الفائق، لأنّ خاصية الإرتباط التشعبي في شبكة الإنترنت أو في الأقراص المدمجة، والتي بفضلها تتموصل جزئيات الخطاب الفائق ببعضها، ممّا يحدث ما يشبه التناص بين هذه النصوص والمواقع والوثائق المتنوعة والمتعددة»⁴، فالترابط الذي يعتبر خاصية للأدب التفاعلي ما هو في حقيقة الأمر إلاّ تناص أخذ بعداً آخر وشكلاً مختلفاً عمّا طرحته "كريستيفا" أو "جيرار جنيت"، إنّه تناص أكثر نضجاً وتفاعلية، نجده في الأدب التفاعلي بأجناسه المختلفة من شعرٍ وروايةٍ ومسرحيةٍ «إذ يستطيع الشاعر التفاعلي، على سبيل المثال أن يستعين بنصٍ لشاعر آخر سابق أو معاصر له كما يحدث في النصوص الورقية، ولكنه في (الأدب التفاعلي) يستطيع أن يوظف صوت ذلك الشاعر في نصّه، وأن يضمّنه نصّه، لأنّ طبيعته تسمح له بتوظيف الصوت الحي، والأصوات الأخرى، الموسيقية أو الطبيعية أو غيرها في نصّه، ممّا يعني أنّ عملية التداخل ستتسع في ضوء الأدب التفاعلي وستخرج من قمم النصوص المكتوبة إلى فضاء أكثر سعة ورحابة»⁵ ويقصد بالفضاء الأكثر سعة أنّ التناص في النص الإلكتروني لا يتجسد من خلال الروابط التي تحكم النصوص اللّفظية فقط، بل يتنقل إلى علامات غير لفظية كالصوت والصورة واللّوحة «ومعنى ذلك أنّ مفهوم الترابط يتجاوز "اللفظي" إلى أنظمة متعدّدة. وهذا الشكل من الترابط بمعنييه ما كان ليتحقق لولا التطور الذي تمّ مع استخدام النصّ الإلكتروني، وتوظيف الوسائط المتعدّدة. وعلى الرغم من التباين المسجل بين التعالق النصي والترابط النصي،

¹ - المرجع نفسه، ص 54.

² - سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، ص 259.

³ - فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 50.

⁴ - توتردين، مقال، تحليل الخطاب الفائق (من الشفوية إلى التواصل الإلكتروني)، الملتقى الدولي الأول في تحليل الخطاب، جامعة قاصدي

مرباح، ورقلة يومي 13/11 مارس 2003، ص 79.

⁵ - فاطمة البريكي، المرجع نفسه، ص 181.

فإننا نراهما معاً يرتبطان بـ"التفاعل النصي" بوصفه مفهوماً جامعاً يتسع لمختلف العلاقات بين النصوص، سواء كانت لفظية أو غير لفظية، سواء قدمت شفاهياً أو كتابةً أو إلكترونياً¹، وهكذا يغدو التناسق في الكتابة الإلكترونية طريقة لتحرير النص وتفجيره من جهة وإلى إغنائه وإثرائه من جانب المتلقي من جهة أخرى.

نظرية التلقي:

إنَّ للمتلقي دوراً أساسياً في الأدب التفاعلي لأنَّه يشارك في بناء النص وإنتاج معناه، وفك شفراته، ولا شك أنَّ هذه الحرية التي لم تمنحها له النصوص التقليدية أو حتى الحديثة التي يُحدّد نقطة بدايتها ونهايتها مبدعها- لا شك أنَّها تشعره بالمتعة واللذة من خلال الخروج عن المألوف في سبر أغوار النص، ولا يصعب على أيِّ دارسٍ أو باحث أن يكتشف تماس الأدب التفاعلي والنظريات النقدية الحديثة في تعظيم شأن المتلقي وجعله يتربّع على عرش العملية الإبداعية، الأمر الذي دعت إليه نظرية التلقي من خلال مُنظريها، فقد أعادت بناء تصور جديد للعملية الإبداعية، قائم على النص والمتلقي، ليتم إغفال دور المبدع واختزاله في «مجرّد كتابة النص وتسليمه للمتلقي، الذي يكون حاضراً ضمناً فيه أثناء كتابته»²، ولقد اعتنى "أيزر" وهو من أبرز أعلام نظرية التلقي بقضية بناء المعنى، وطرائق تفسير النص من خلال اعتقاده أنَّ النَّص ينطوي على عدد من الفجوات التي تستدعي قيام المتلقي بعدد من الإجراءات لكي يكون المعنى في وضع يحقق الغايات القصوى للإنتاج، والفجوات أو «الفراغات» هو المصطلح الذي سكّاه (أيزر)، قاصداً به تلك المساحات التي يحدث فيها التفاعل بين المتلقي والنص، وهي عبارة عن بياضات موجودة في النص تسمح للمتلقي بالكتابة عليها لإضافة ما لم يكتبه المبدع، ممّا يثري النص ويميّزه عن غيره من النصوص المصمتة، التي لا تسمح لمتلقيها إلا بالقيام بفعل التلقي السّليبي، دون أن تفسح له مجالاً للتفاعل مع النص بملء فراغاته المفترضة»³. فهذا التأكيد من قبل أصحاب نظريات القراءة والتلقي على الدور المنوط بالقارئ وأنَّ النص لا يكتمل فعلياً إلا بوجوده، هو نفس ما أكدَّ عليه الأدب التفاعلي الذي يرفض من خلال الخصائص التي تتيحها تقنياته، فكرة الخطية، ويستنكر فكرة انتقال المعنى من النص إلى المتلقي، «ويرى أنَّ من حق المتلقي أن يلج النص بالطريقة التي تناسبه، وأن يتعامل مع فصوله وتفصيله دون قيود تفرض عليه من قبل أي سلطة، حتّى إنَّ كان المبدع نفسه، الذي جرّد هو الآخر من أي سلطة له على نصه، لأنَّه لم يعد يمتلك هذا النص بمجرد أن ألقى به للمتلقين في موقع من المواقع الإلكترونية، أو على أحد الأقراص المدمجة»⁴.

ومن واجب متلقي الأدب التفاعلي أن يُتقن آليات الكتابة الرقمية ويحسن استعمال وسائلها، ما دام سيشارك في إنتاج النص، إذن عليه أن يتسلح بالعدة لذلك، فالكتابة الرقمية بمظهرها الترابطي تؤسس لشكل مختلف للقارئ، وتأتي الدكتوراة "فاطمة البريكي" في سياق حديثها عن الرواية التفاعلية بنموذج لمشاركة القارئ ومساهمته في بنية العمل، النموذج كان رواية (شروق شمس 69) للروائي الأمريكي (روبرت أرلانو) المعروف بـ (بوبي رايبند)، التي صدرت عام 1996 وتعتبر من الروايات التفاعلية الكلاسيكية في الأدب الغربي بعد رواية (الظهيّرة قصة) لـ "ميشيل جويس" عام 1986، يتميز هذا العمل الإلكتروني (رواية شروق شمس 69) «بأنه يدعو القارئ لإضافة مغامراتهم الافتراضية إلى بنية النص الروائي...وبالإعتماد على ما يصله من المتلقين/المستخدمين من مشاركات ومساهمات، ينشر (رايبند) في كل شهر فصلاً جديدة تدمج مساهمات المتلقين/المستخدمين في المتن الرئيسي، دون أن يفصل بين إضافة المبدع، وإضافة المتلقي، إذ تتوحد الأدوار هنا، ويصبح الجميع مبدعاً ومتلقياً في آنٍ، ويلتقي هذان الطرفان على سطح الطرف الثالث من أطراف المنظومة الإبداعية لملء الفراغات كل حسب نظرته للأحداث. وبذلك تمتد عملية الخلق النصي، وتنتفح الرواية للتوسّع

¹ - سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، ص 102.

² - وولفغانغ إيزر، فعل القراءة، ترجمة: عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، 2000، ص 40.

³ - فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 152.

⁴ - فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 151.

بلا حدود، مع ذلك التأثير المضاعف لدمج التاريخي والتخييلي بتصميم جذاب¹، فقد غير التطور التكنولوجي بأبعاده مسارات التلقي وطالب بقارىءٍ ذي أبعادٍ ثقافية ووعي حضاري، تقول "زهور كرام" في هذا الصدد: «يأخذ النص الأدبي مع تطور الوسائط التكنولوجية أبعاداً تجعله يتجلى ويعبر عن منطقته ورؤيته بشكل مختلف، ومن هذا المختلف يبدأ نوع من الإصطدام بين الوعي المألوف والذي عززته موثيق القراءة التي تحدّد النص في شكل معيّن من التلقي ممّا يؤمن أفق انتظار القارىء، وبين وعي بدأ يتشكل أو على الأقل بدأت مظاهره تعلن عن تجربة مخاضه»².

موقع الأدب التفاعلي من الممارسة الإبداعية العربية:

لا مناص من الاعتراف بأنّ الوسائل التكنولوجية قد هيمنت على جلّ مرافق الحياة في العالم بما في ذلك ميدان الأدب، إلّا أنّ تجاوب المؤسسة الإبداعية العربية مع هذه الوسائط ما زال محتشماً يدبّ ديبب النمل، ويرجع بعض الباحثين حالة التردّد التي تتسمّ بها عملية التعامل والتواصل مع الأدب الرقمي إلى الموقع الذي تحتله التكنولوجيا في حياة الفرد العربي، وإلى شعوره بالضعف والدونية اتجاه "الأخر"، الأمر الذي يجعله مستهلكاً سلبياً يُقبل على كلّ ما ينتجه الغرب بكلّ نهيم غير مُبَادِر بالإنّتاج والإبداع، فالإنخراط في الأدب الرقمي بات ضرورياً، إذ هو في نظر "زهور كرام" «مطلب حضاري بامتياز وليس نزوة أو موضحة عابرة»³، وهذا المطلب الحضاري بات ضرورة ملّحة دفعت العديد من المبدعين والنقاد إلى المطالبة بولوج هذا العالم الخصب، فأَيّ تأخر حسب "سعيد يقطين"⁴: «في ولوج عالم الوسائط المتفاعلة في حقلنا الثقافي العربي لا يمكن إلّا أن يضاعف تأخرنا عن المشاركة في عالم التواصل الحديث»⁴. وفي رأي "فاطمة البريكي" حول موقع الأدب العربي من التكنولوجيا الحديثة «فإنه لم يخض غمارها بعد، ولم يبدأ الأدباء العرب بالممارسة الفعلية للأجناس الأدبية التي يتيحها تزواج الأدب بالتكنولوجيا، ما عدا استثناءً واحداً، وقد أدّى هذا إلى أن ترددت في كتابات النقاد العرب المعاصرين نبرة انتقاد (أو انتقاص) للأدب العربي الحديث، لعدم قدرته على مجاراة العصر التكنولوجي، وسير أغواره وتوظيف معطياته لخدمته والإرتقاء بمستواه عن طريق الإنتقال من الطّور التقليدي إلى الطّور الإلكتروني»⁵، ويعزو البعض نفور شبابنا عن مطالعة الأدب العربي وضعف الأجيال المتأخّرة في اللغة العربية، إلى عدم إفادتها من الوسائط التكنولوجية وابتعادها عن هذا المجال، وهذا ما يفسر إقبال الشباب على فنونٍ أخرى استثمرت تقنيات التكنولوجيا واغترفت من عوالمها، يقول الدكتور حسام الخطيب: «ومن خلال المقارنة بين الأدب والفنون الأخرى نجد أنّ الفنون الأخرى من رسم وموسيقى ونحت وتصوير أفادت كثيراً من التكنولوجيا وهذا من أسباب تجاوب الناشئة معها، على حين أنّ محافظة المؤسسة الإبداعية، ولا سيما في البلاد العربية تؤدي يومياً إلى ابتعاد الأدب عن خضم حركة المجتمع وتحصر جمهوره في فئات محدودة»⁶، إذن فدعوة مُثقفينا ومبدعينا صريحة إلى الإنفتاح على عالم الرقمنة، واستثمار المعطيات التكنولوجية الحديثة في الإبداع الأدبي، وكسر كلّ القيود، «إنّ الذهنية العربية مطالبة في هذا العصر بكسر قيودها العتيقة والتحرّر من أوهامها ومعتقداتها التي تستند على مبررات معقولة، نحن العرب أمام فرصة حقيقية يتيحها لنا عصر المعلومات حتّى نعود مجدداً إلى الواجهة، فالطابع الإستهلاكي الذي هيمن على كتاباتنا مدة طويلة والتلقي السلي والأفكار السلبية من قبيل الأفكار الجاهزة والقوالب الفكرية الجامدة قد تزعزع، وصار من الضروري علينا أن نجدّد آلياتنا ونهيمها لاستقبال نماذج جديدة وإنتاج ما يعبر عن صوتنا العربي وثقافتنا وهويتنا»⁷، فالإشاحة عن

¹ - فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 117.

² - زهور كرام، الأدب الرقمي (أسئلة ثقافية وتأمّلات مفاهيمية)، ص 73.

³ - الناقدة زهور كرام تتأمّل مفاهيم الأدب الرقمي، مقال، الموقع وكالة أنباء الشعر، الدوحة: www.alapn.com/ar/news.

⁴ - سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، ص 13.

⁵ - فاطمة البريكي، الرواية التفاعلية ورواية الواقعية، الرقمية، مقال رقمي: www.middle-east-online.com/id=312311.

⁶ - د/حسام الخطيب، الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المفرغ Hypertext، المكتب العربي للتنسيق الترجمة والنشر، دمشق 1996، ص 11.

⁷ - خديجة باللودمو، الأدب الرقمي مفاهيم ونماذج أولية، مجلة علوم اللغة العربية، وأدائها، جامعة الوادي، ص 138.

الإنجازات الجديدة في عالم الإتصال والإبداع، ومقابلتها بالنكوص والتجاهل، سيوسّع من فجوة نأي الأدب العربي عن عالم التكنولوجيا المعاصرة، ما يسمح لأعدائه برميته بكلّ سهام الضعّة والتخلف عن الركب والعصرنة، فالأمر يتطلب مواجهة وتفاعلاً حتى لا يظل المثقف تقليدياً في ممارساته حسب "سعيد يقطين": «المثقف الذي يظل بمنأى عن التعامل مع الإنجازات الجديدة، وعن العمل من خلالها في مجال تخصصه أيّا كان، يظل في رأيي مُثقفًا تقليدياً مهما كان عطاؤه في اختصاصه، إنّه تقليدي لكونه لا يمتلك "لغة" جديدة للإبداع: الإنتاج والتلقي. وحين نستعمل مفهوم "المثقف" هنا بإطلاق، فإننا نقصد به المبدع في المجال الأدبي والفني، والفنان والصحفي والسياسي والفقير والباحث في أيّ مجال من مجالات المعرفة سواء كانت تتصلّ بالإجتماعيات أو الإنسانيات أو بمختلف العلوم الأخرى»¹، وقد دعا نفس الناقد- بخاصّة- إلى خوض غمار تجربة النص المترابط، وإنتاج إبداعات تفاعلية لتحقيق صورة متعددة من التفاعل بين المبدع والمتلقي، واعتبر الهدف من تأليف كتابه "من النص إلى النص المترابط": «دفع كل من المبدع والمتلقي العربيين إلى تكوين فكرة وتحصيل معرفة أولى عن النص المترابط وعن الإبداع التفاعلي وعن الوسائط المتفاعلة، وإلى خوض غمار "التجريب"، تجريب مغامرة جديدة في الإبداع والتلقي، أي في التواصل، ثم إذا نجحنا في ذلك، فمعناه أننا بصدد الدخول إلى حقبة جديدة من التفكير والبحث في: الإبداع والفن و الأدب والنظرية الأدبية، والمجتمع، والتواصل، وتعبير آخر، نكون أمام رؤية وممارسة جديدة للثقافة ولل فكر وللإنسان»²، فلا بد للمثقف أن يمتلك أدوات العصر حتى يؤدي عمليته الإبداعية على أكمل وجه، وهذا يذكرنا بما قاله البشير الإبراهيمي -رحمه الله- يوماً في حديثه عن منزلة المثقفين في الأُمّة، حين رفض أن يحشر في زمرة المثقفين كلّ من يكتب بالعربية الصحيحة مقالة في جريدة وهو مع ذلك لا يحسن الضروريات من المعارف العصرية.

أهمّ المبدعين العرب في مجال الأدب الرقمي والتفاعلي:

محمد سناجلة في (صقيع) و(ظلال الواحد)، رجاء الصائغ السعودية في (رواية بنات الرياض)، عبد الرحمن ذيب السعودي في قصيدة "غرفة الدردشة"، الكويتية حياة الياقوت في قصة (المسيخ إلكترونيا)، المغربي طه عدنان في ديوان (ولي فيها عناكب أخرى)، عبد النور إدريس في قصيدة (شات)، محمد اشويكة في (احتمالات)...

قائمة المصادر والمراجع:

1. شوقي ضيف، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004.
 1. حسام الخطيب، الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المفرع Hypertext، المكتب العربي للتنسيق للترجمة والنشر، دمشق 1996.
 2. جميل حمداوي، الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق (نحو المقاربة الواسطية)، الألوكة، ط1، 2016.
 3. سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط (مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي)، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005.
 4. فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006.
 5. زهور كرام، الأدب الرقمي أسئلة ثقافية، وتأملات مفاهيمية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2009.
 6. نبيل علي، العرب وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل 1994.
- أ. **المواقع والمجلات:**
1. "الناقدة زهور كرام تتأمل مفاهيم الأدب الرقمي" مقال رقمي: الموقع وكالة أنباء الشعر، الدوحة: www.alapn.com/ar/news
 2. فاطمة البريكي، الرواية التفاعلية ورواية الواقعية الرقمية، مقال رقمي www.middle-east-online.com
 3. خديجة باللودمو، الأدب الرقمي مفاهيم ونماذج أولية، مجلة علوم اللغة العربية وأدائها، جامعة الوادي، ص 138.

¹- سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، ص30.

²- سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، ص12.